# الاتجاه التربوي في شعر الرصافي

**أ.م.د. شفاء اسماعيل ابراهيم**

**shafaa1970@colang.uobaghdad.edu.iq**

**جامعة بغداد/ كلية اللغات- وحدة سلامة اللغة العربية**

**الملخص**

تغنى الشعراء في الأدب العربي عن العلم والتعليم فقد وصفوا العلم بانه النور الذي يضيء حياتنا واساس التقدم والرقي، وان الجهل الذي لابد من محاربته، ولقد تناول البحث جانب مهما هو التربية والتعليم اذ يعدان اساسا في بناء المجتمع، ومن هؤلاء الشعراء الذين تغنوا به معروف الرصافي حين قال

فكل بلاد جادها العلم ازدهرت رباها وصارتتنبت العز لا العشب اكد الشاعر على طلب العلم وبين اهمية في حياة الفرد والمجتمع، ودورها في تقدم الأمم ونهضتها.

**الكلمات المفتاحية:الأتجاه التربوي، معروف الرصافي.**

**The educational trend in Al-Rasafi's poetry**

**Assistant Professor Dra. Shafa Ismael Ibrahim.**

**College of Languages / Arabic Language Safety Unit**

**Abstract**

Poets in Arabic literature have sung about knowledge and education. They have described knowledge as the light that illuminates our lives and the foundation of progress and advancement, and as ignorance that must be fought. The research has addressed an important aspect, namely education and upbringing, as they are the foundation of building society. Among these poets who sang about it is Ma'ruf al-Rusafi, who said: "Every country that has been enriched by knowledge has flourished. It has nurtured it and it has grown glory, not grass." He raised it and it grew into glory, not grass. The poet emphasized the pursuit of knowledge and its importance in the life of the individual and society, and its presence in the progress of the United Nations.

**Keywords: Educational Trend, Marouf Al-Rasafi.**

**مقدمة**

يعد الرصافي أحد أربعة شعراء مجيدين في العراق، منهمالزهاوي والكاظمي، والشبيبي، فهو علم من أعلام الشعر العراقي، فجوانب شعره وحياته ظلت لعقود طويلة موضوعاً لدراسات واطاريح جامعية، وكتب عن شعره الكثير من البحوث ولكن مع هذا يبقى ديوانه معيناً ثراً لدراسات لا تنتهي وهي أن الدراسات لايمكن حصرها وتقنينها.

ومن موضوعات شعر الرصافي التي عني بها الباحث هنا هو موضوع العلم والتعليم فهذه المفردة نالت أهمية خاصة لدى الشاعر وكانت محوراً من المحاور المهمة التي دار شعره عليها فدعا الرصافي هنا إلى قضايا امته إلى بناء المدارس، فلقد بذل شطراً طويلاً من حياته لدعوة الاصلاح، فقد ألف لطلاب المدارس ديواناً للاناشيد المدرسية فلذلك تطرقت في هذا البحث إلى مختارات من. شعره تبرز أهمية العلم من جميع الجوانب

فهو يريد الحياة لامته فيشجع على طلب العلم؛ لان العلم يضمن الحياة العزيزة ويرفع الانسان إلى مستوى إنسانيته، ويفتح له اسرار الوجود حيث يقول:-

بالعلم تنتظم البلاد فأنه

لرقي كل مدينة مرقاة

وقد قسم البحث على: تمهيد تضمن نقطتين الآولى:- أضاءة بسيطة عن حياته والثانية :- مكانته الآدبية، ثم انتقلنا ا لى موضوع بحثنا وهو الجانب التربوي في شعره، ثم الخاتمة باهم النتائج، ومن ثم المصادر التي اعتمد في اجراء البحث.

**التمهيد**

شاعر عراقي من أب كردي وأم تركمانية من عشائر القرغول التي يرجع أصولها إلى قبيلة الشاة السوداء التركمانية، عاش في مدينة بغداد حيث درس وسافر القسطنطينية إلى القسطنطسنية، واكمل دراسته هناك تتلمذ الرصافي على يد العلامة محمود شعري الالوسي رحمه الله صاحب كتاب بلوغ الادب في معرفة أحوال العرب كان اذ رأى زميلاً له في المدرسة من غير جبة خلع جبته واعطاه اياه، وكان كثير المواظبة على الصلاة، ويمشي في طريقة مرتدياً الجبة، وعيناه في الأرض الشدة ورعه، فلقبه استاذه الالوسي بلقب الرصافي نسبة إلى شيخ معروف بالتقوى والصلاح في محلة الرصافة ببغداد، وسافر إلى استانبول وعهد اليه تدريس الخطابة في مدرسة الواعظين التي استها وزارة الأوقاف والف كتابه نفح الطيب في الخطابة والخطيب، وعاد إلى بغداد وعين مفتشاً للغة العربية بوزاره المعارف، وانتقل من هذا المنصب إلى دار المعلمين العالمية يتولى تدريس اللغة العربية وآدابها.[١]

[١]معروف الرصافي، شخصية المهدية منشورات ؟؟؟، المانيا، ٢٠٠٢، ص: ٦٤

عاش الرصافي صريحاً ولم يستطع الخوف ان يتخذ سبيلاً إلى قلبه ولا أن يحبس للحق كلمة واحدة بين شفتيه ولا يؤمن نفسه ويثبتها إلا ايمانه وعقيدته وبقي عاكفاً على منهجه يفرق على أمته من فيض قريحته العميم فيسمعها حديث قلبه النابض بالسمو وخلجات نفسه الأدبية العامرة التى جعلته أن يعيش شديد الثقة بنفسه كثير الحب والاعتداد باستقلاله وإرادته الحرة هذه المزايا جعلته مقيداً بالصراحة إلى ابعدالحدود[١]

قال شوقي ظيف عن الرصافي " شاعرنا الرصافي لا يعيش لنفسه، وإنما يعيش لمواطنيه، وقد يمتد بصره إلى أعلى فيعيشللإنسانة كلها، وهو يستخلص لشعبه كل الميزات التي تحيله شعباً[١] ممتازاً في خلقه وروحه، وعقله، ولعله من أجل ذلك كان الرصافي يشيد بالعلم ويدعو إلى اعطاء المرأة حقوقها، وكان يحلم للناس وخصوصاً مواطنية بعالم سعيد يزيل منهم الشقاء والحياة المظلمة[٢]

ومن شعره يبين الظلم الواقع على الشعب قوله:

علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح منحرف

اسماء ليس لنا سوى الفاظه أما معانيها فليست تعرف[٣]

من يقرأ الدستور يعلم ان وفقا لصك الآنتداب مصنف

وكان دائماً يحث على المطالبة بحقوق الفرد، وحرمته ويقول:

يا أيها العرب هبوا من رقادكم فقد بد الصبح وأنجابت دجى الخطر

كيف النجاح وأنتم لا اتفاق لكم والعود ليس له صوت بلاوتر

وتدرج الرصافي في مناصبه فمن مدرس إلى محرر جريدة عام ١٩٠٩، إلى عضو مجلس المبعوثين عام ١٩١٢ وبعدها سافر إلى الاستانة عام ١٩٢٢ ثم عاد إلى بغداد عام ١٩٢٣ وبقي في تقلبات الزمان إلى أن وافاه الاجل صبيحة يوم مار الجمعة الموافق ١٦ آذار سنة ١٩٤٥، ودفن في مقبرة الاعظمية، فان الرصافي لكنه مات غنياً بأدبه الذي هو أغلى من أي معدن أو حجر كريم، وأن آدابه من أندر أنواع الادب بعد أدب المتنبي أليس في هذا خلود وفوز وانتصار؟ بهذا وحده صارع الزمن وانهمك في بناء مجده فكان له من أنهماكه فيه أكبر وأشرف نصيب.[٤]

تمل تقرية الرصافي : صان ١٧ الصباح جعفر صادق حمودي التميمي، معجم الشعراء العراقيين المتوفيين في العصر الجزء الأول، ص:٥١٤.

[١] عبد الصاحب شكر، عبقرية الرصافي، مطبعة المعارف، بغداد، ص : ١٧٠

[٢] شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٩

[٣] ديوان معروف الرصافي، : ص٢

[٤] جعف صادق حمودي التميمي، معجم الشعراء العراقيين المتوفين فبيالعصر الحديث، الجزء الاول،ص:٥١٤

مكانته الأدبية

لا يخفى على أحد ما للرصافي من مكانه فريده في أدب العصر الحديث فتنوعه متنوعة فيه واضح غير خفي وجلي غير مبهم ومافتئت آثاره الادبية موضع مناقشة صرف الجيل فقد غير فأجاد وتعرف فأبدع، فهذا تشعب موضوعاته دال على سعة عقله واطلاعه وقد ترك من شعره لأمته ذخيرة لا تغنى وتجنب الابتذال إذا معنت النظر في شعره لتقف على ما وقع له من التوفيق بين عباراته ومراميه بلهجة خالية من الوهن والتكلف، وكان كثير الأنصراف إلى ما يقع تحت سمعه وبصره فينطلق على السانه بالشعر الفصيح ومن وراء ذلك صدق العاطفة واستفادة الذوق في أختيار الألفاظ والموضوعات التي تتصل بحياة المجتمع والجيد المتخير من شعره هو الغالب في مجموعة ومع انه كان يرسل شعره عفواً فلم يفارق اللفظ الرشيق والتركيب الدقيق قوافيه التي نستوقف النظر بجمالها وتسحر الذهن ببلاغتها وتروي النفس بفتنتها، ومع ان الرصافي كان ابعد الناس عن استعمال الالفاظ المبهمة القليلة التداول فقد استعمل منها القليل ثم تجده حتى في هذا المجال الضيق الذي استعمل فيه منها منفون ها يسعى للسلالة والتبسيط فأن فاته ان يوضح الكلمة من ناحية منعوتها عمد إلى الادلال لها بجملة ليلتمس القارئ منها المعنى بالقريب[١]).

كما أن الأسفار والسياحات أثراً في مكانه الشاعر الادبية، فالأغتراب يزيد من معلوماته، ويوسع أفق تصوره في كل منحى من مناحي الحياة ولما كان مستوى الثقافة والرقي يختلف في ممالك العالم فلقد يكون لدرس الشاعر وتصوره تلك الاسباب حافز مؤثر على انها في البلد المتقاعس ولقد راى العراق عهوداً بلغ فيها النكوص موضع اليأس ذلك ما أهاب بالرصافي إلى أن يكنز من مواقفه الاجتماعية وينادي بالاصلاح والنهوض وطلب العلا قال:-

حببت العلا منذ الصاحب شاعر وقمت اليها ساعياً سعي قادر

وأني اسجل هنا ان شاعرنا الراحل كان من أوسع الادباء[٢]. على الرغم من أن ادب الرصافي قد بلغ منزلة عظيمة في قلوب الناس ولكن هو في الواقع ارقى، لانه كان رحمه الله يرى أن لا مناص من سرد ما نطلب لفى سعري فيا قومنا إن العلوم تجددت فإن كنتم تهوونها فتجد دواء وصراحته كذلك قد جعلت له مكاناً ممتازاً بين الباحثين والمفكرين فكتابه (رسائل التعليقات) أحدث دوياً في الأوساط العلمية والدينية والادبية على حد سواء لقد كان يخوض ميادين الجدل العلمي معتمداً على بصيرة ثاقبة ورأي واضح ونقد حصيف، وكان يتمتع بقدرة فائقة على تحليل العواطف وكشف ما تترامى إليه من الأحاسيس

ولا يفوتنا ان نذكر هنا ما للشاعر من آثار ادبية قيمة يشهد له الزمان بها ومنها:-

[١] عبقرية الرصافي،ص:٦٩
[٢] المصدر السابق،ص:٥٨

١-الأناشيد الوطنية والادبية التي نظمها الشاعر الطلاب المدارس.

٢-نفح الطيب في الخطابة والخطيب وهو مجموعة محاضرات القاها على طلبة مدرسة الواعظين في الاستانة

٣- دروس في آداب اللغة العربية وهي محاضرات القاها في دار المعلمين العالية في بغداد.

٤- رسائل التعليقاتفي نقد كتاب ((النثر الفني)) وكتاب((التصوف الآسلامي)).

٥- على باب سجن ابي العلاء، وفيه رد على طه حسين في كتابه ((مع ابي العلاء المعري)).

٦-تمائم التربية والتعليم وهو مجموعة شعرية صدر عام ١٩٢٢م.

٧- الؤيا رواية للأديب التركي ناصف كمال نقلها الرصافي الى العربية .

٨ ديوان الرصافي ويعرف بالرصافيات، تولى طبعه، وتبويب قصائده وتفسير غريبها محي الدين الخياط، والشيخ الغلاييني وقد رتبه على اربعة ابواب:-

(الكونيات، الأجتماعيات، التأريخيات، الوصفيات)وطبع سنة ١٩١٠م[١].

الجانب التربوي في شعر الرصافي

انتج الرصافي كثيرا من المؤلفات، وديوان شعر كبير، اكثر من الوطنيات، والوصف، والاجتماعيات،كان الشاعر كثير العطف على البائسين، بصور آلامهم، ويستحث قومه على الرفق بهم، وقد برع في هذا اللون بسرعة فائقة لأنه ذاق مرارة العيش،وقسوةالحياة.

امتاز اسلوب شعره باللغة والرصانة،وله اثار كثيرة في النثر والشعر واللغة والآدب اشهرها ديواني ((ديوان الرصافي))، إذ رتبه الى احد عشر بابا في الكون والدين، والاجتماع، والفلسفة، والوصف،والحرب،والرثاء، والتأريخ،والتربية، وعالم المرأة، والمقطعات الشعرية الجميلة.

لو قدر لك ان تقرأ شعر الرصافي من أوله الى آخره لرأيته خاليا من كل فلسفة كسيرة أو رأي متحرج أو لفظ متكلف وماخواطره في الكثير الغالب إلاتعبير عن شعور بين قومه ووطنه وما شعره الا لسان حالهم، هذا الشعر الذي قرب الرصافي الى القلوب فجعله رمز الثناء والأطراء في افواه الأباء المفكرين فهو يدعو الى الصلاح ورمي الغش والكذب والكيد.

يقول ( توماس كارتيل)ان الكلمة إذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان وإذا خرجت من القلب نفذت الى القلب )) والشعر الجيد الذي يعبر عن الآحساس الصادق ويصور للمجتمع مختلف شؤونه لايلبث ان ينشر انتشار النور فيسيطر على الآفكار فتحسبهواسطة لبلوغ الأمال ببسطة الحقائق وتوضيح ماتظنه معقدا من امور الحياة فتشوق اليه[٢].

ولم يكن اخباري لشعر الرصافي اختيار فارغا من اسباب والأسباب التي قربته الى نفسي هو ان شعر الرصافي يعبر بالخلاص عن سريرة حكيمةفيها قوة الملاحظة والتأمل والانتباه وحكمة

[١] الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي،بيروت،دار الجيل،ص: ٢٧٨

[٢] عبقرية الرصافي،ص:٤٦

التجارب تكسوه حلة من الجمال تأخذبمجامع القلوب، ثم ان سرد للحقائق وتفقده لشؤون المجتمع والتألم بالأمة كل هذه الصفات قربته الى قلوب الناس كأجل واروع أديب في تأريخهم.

سفيتهن المعاني فارتوين بها

وكن فيها مكان الماء في الشعر

تأمل روعة هذا الشعر جماله الفني، وهذا التشبيه الطريف وهذه الصورة فالفاكهة الأخاذة الناطقة وهذا الذوق السامي والفاكهة الجميلة بمظهرها الاخاذ بمنظرها تكون اكثر جمالاً بطرافتها ولذة طعمها فهو يرى الشعر الذي لا تلطفه معانيه شعرا جافا.

ونظراً لطول فترة انشغال الرصافي بالتدريس مصلحاً ومفتشأ للمدارس مما أكسبة خبرة دون غيره بحقيقة أهمية العلم في التقدم أضف إلى ذلك اطلاعه على ما وصل إليه العلم والتعليم مقارنة بغيره من البلدان، وبهذا فقد كرس الرصافي جهده للدعوة إلى العلم والتعليم ونحسب أنها القيمة الرئيسية التي جال فيها شعره.

وما تركته رحلاته الكثيرة ومشاهداته لمعاهد العلم سواء في عاصمة عثمان أم في الشام أو القدس وبيروت ومصر فدعا إلى العلم طريقاً للقدم يقول:

نحن قوم نرى المفاخر إلا

من طريق العلوم ثوباً معاراً

ما قصدنا بسن السيف إلا

رد ليل الجهل المميت نهاراً[١]

عبد الصاحب شكر، عبقرية الرصافي، مطبعة المعارف البغداد، ص: ٤٦. (٢) عبد الماكي شكر، عبقرية الرصافي، مطبعة المعارف، بغداد، ص

في وسط هذا الجو الثقافي والتعليمي الضيق عاش الرصافي وشكل هذا الوضع موضوعاً جوهرياً لشعراء الربع الأول من القرن يقف على رأس اوليات شعرهم الاصلاحي وفيها يتعلق بالرصافي فإن هناك اسباب أدت إلى اندفاعه في دعوته للعلم والتعليم منها تفكيره الذي جاوز زمنه وعقليته المتفتحة وكان ينطلق من منطلقات عصرية آنذاك مهمة أجلاء العقول مما تترتب عليها من تراكمات ماض سحيق قروب تخلف فهو بجد العلم طريقاً إلى العلا يقول:

لا يبلغ المرء منتهى أربه

إلا بعلم يجد في طلبه

فأو إلى ظله تعش رغداً

عيشاً أميناً من سوء منقلبه

وأن للعلم في العلا فلكاً

[١] عبقرية الرصافي

كل المعالي تدور في قطبه[١]

أمن الرصافي بأهمية التعليم وعمل على نشره بين الطرفين من خلال دعواته وجهاده المستمر لبناء المزيد من المدارس محفزاً الأغنياء على دعم المشاريع التعليمية وكفالة طلب العلم، حيث رأى ان طريق التحرر الوطني يمر بالمدارس فلابدمن التعليم.

لقد شارك الرصافي في قضايا امته السياسية والاجتماعية،ودعا الى بناء المدارسونشر التعليم، التي ينبغي لطالب العلم الأيكون طلبه للعلم لذاته بل لغايات اجتماعية وذلك من خلال ربطه بالعمل فهو وفي اللفظ بهذا المعنى نجده يقول:

ابنوا المدارس واستقصوا بها الأملا
حتى نطاول في بنيانها زحلا
جودوا عليها بما درت مكاسبكم
وقابلو باحتقار كل من بخلا
لا تجعلوا العلم فيها كل غايتكم
بل علمو النشء علما ينتج العملا
ربو البنين مع التعليم تربية
يمسِي بها ناطق الاخلاق مكتملا
فجيشوا جيشَ علم من شبيبتنا
عرمرما تضرب الدنيا به المثلا
أنا لمن أمة في عهد نهضتها
بالعلم والسيف قبلاً أنشأت دولا

كان هم الرصافي الأول ان يحفظ الناس من غفلتهم فيتطلعوا على الوجود وتطلع الاحياء ويخرجوا من الجمود إلى الحرية، ومن الخمول، والتشنج إلى العمل الذي ينفع.

يرى الرصافي ان السبب الرئيسي في تخلف الشرقيين عامة او العرب خاصة هو انتشار الجهل في ربوعهم ويقول العلم هو نور الذي يهدي الفكر الذي يبدع واليدالتي تصنع.، فالجهل موت[٢].

لقد بذل الرصافي شوطاً طويلاً من حياته لدعوة الاصلاح، وعالجة على مستويات مختلفة، فقد ألفَ لطلاب المدارس ديواناً للأناشيد المدرسية، ومجموعات أخرى سماها تمائم التربية والتعليم يقول فيها مستقبل كل امة منوط وجهودها ويتطور مدارسها، ولذا أخذ المفكرون من رجال الأمم الراقية يتحرون وسائل الاستفادة من ابناء المدارس.

ونمزج دعوته إلى الاصلاح بروح التجديد فينادي لها كل المناداة:

[١] ديوان معروف الرصافي،ج٢،ص:١٩٥
[٢] العقاد،١٩٢٧،ص:٣٥٥

فيا قومنا إن العلوم تجددت

فإن كنتم تهوونها فتجددوا[١]

ويرى الرصافي من تحرير العلم وابعاده عن جمود الفكر المتعلق بأهداب أراء تشده إلى الوراء كون صروح العلم قد شيدت في هذه البلاد قبل قرون عديدة.

وتميز الرصافي بميزة الجرأة في طرح افكاره من خلال الشعر لا سيما إيمانه الكبير بحرية الفكر ووجوب تحرير العلم وجعله خالصاً لنفسه دون تدخل عوامل خارجية تتواتر فيه:

وخلوا جمود العقل في أمر دينكم

فإن جمود العقل للدين مفسد[٢]

فالعلم مرتكز وهم للتجديد في النهضة وإعلاء صرح الحضارة ومن ثوابت جعل العلم فعالاً اطلاق حريته وعدم تقيدها بأي عامل جذب إلى الوراء وكانت نظرته هذه في حرية العلم ثابتة، فلقد أحكمت نظرة الرصافي الحرية الفكر طوقها على أغلب ما كتبه من شعر متعلق بالعلم والتعليم وهي عنده من المبادئ التي لا

يحيدعنهايقول في قصيدته:(في سبيل الحرية)

إذا كان في الأوطان للناس غاية

فحرية الأفكار غايتها الكبرى

فأوطانكم لن تستقل سياسة

إذا أنتم لم تستقلوا بها فكرا

إذا السيف لم يعضده رأي محرر

فلا تأملن من حده ضربة بكرا

أحريتي إني اتخذتك قبلة أوجه وجهي كل يوم لها عشر[٣]

وإن دعوة الرصافي للعلم واندفاعه لنشره لم تكن مقصورة على الرجال دون النساء بل يمكن القول أنه قد كرس الكثير من القصائد للدعوة لتحرير المرأة وتعليمها لان ذلك يكمل دور المجتمع حيث ان من الجملة مساعيه التي كافح من اجلها بعزم وثبات تحرير المرأة وإزالة ما طرأ عبي المجتمع العراقي من التقاليد البالية.. وإن المجتمع العراقي لا يصلح طالما كانت المرأة العراقية حبيسة البيت جاهلة التعليم[٤].

[١] ديوان الأناشيد المدرسية،تمائم التربية والتعليم، الموجز في الشعر العربي،ص:٤٣١

[٢] ديوان الرصافي،ج٢،ص:١٨٤

[٣] المصدر السابق،ص:١٧

[٤] خضير العباسي، تحرير المرأة العراقية بين شاعرين الزهاوي او الرصافي،ص:٥٤

وشارك الرصافي في حملته هذه في الكثير من المجلات العراقية التي تصدر في تلك الفترة حيث د نشر على سبيل المثال قصيدته المعروفة ((التربية والأمهات)) في (مجلة ليلى) التي صدرت عام ١٩٢٣، التي فيها:-

هي الأخلاق تنبت كالنبات

إذا سقيت بماء المكرمات[١]

ونلاحظ أيضاً إن الرصافي اهتم بمرحلة الطفولة وعدها من اهم مراحل التعليم ؛ حتى أنها شغلت علماء النفس والفلاسفة والادباء على حد سواء، فلابد من تهيئة عقولهم،وتشكيل وعيهم الجمالي، وتنمية اخيلتهم وذكاءاتهم.

فالرصافي يريد الحياة الأمنه فيشجع على طلب العلم ؛ لأن العلم عنده يضمن الحياة العزيزة، ويرفع الانسان الى مستوى انسانيته، ويفتح له اسرار الوجود ويجعل طاقات الطبيعية بين يديه فيخترع وينجز، ويبني، ويكتشف المجهول ويخترق اجواء الفضاء، كما نغوص الى اعماق الماء، وبالعلم تزدهر الأوطان

حيث يقول:-

بالعلم تنتظم البلاد فإنه

الرقي كل مدينة مرقاة

وإن العرب ما تركوه من فخر وعز لا يمكن ان يقف حاجزاً امام التطور وإنما محفزاً اساسياً للتقدم بل استنهاض الهم نحو العلا ونحو التقدم كقوله:-

كم ترى للمجد سيقاً منتضى

كم ترى للعلم فيها من منار

والعلم كونه هبة آلهية، رعاها الله سبحانه وتعالى وقرها إذ ميز الله بين العالم والجاهل يقول جلا علاه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" فالعلم نور كما يراه الرصافي:-

جاهل قبل الممات ميت يمرح ما بين البيوت

يعلم في هذي الحياة ان رب العلم حي لا يموت

للعلم رب الكائنات بالعلا فهو زمام الملكوت

جعل قضى بالعطب فهو في الناس دليل التلق

شئت علم السبب هل يكون النور مثل السدف

إذ نالت مفردة ( العلم والتعليم ) أهمية خاصة لدى الشاعر، وكانت محوراًمهماً من محاوره، وخصوصاً العصر الذي عاش فيه الرصافي نهاية القرن التاسع عشر والربع الاول للقرن العشرين إذ حرص العثمانيون على تضيف العلم والتعليم وابقاء المجتمع العراقي متأخراً إذ كانت

[١] مجلة ليلى، العدد٥، شباط ١٩٢٤

منافذ التعليم مقتصرة على الجوامع والمدارس، والربط فكان التعليم محصوراً على القاء محاضرات فلسفية واجتماعية ومنع اي شرح مقيد على الطلبة[١].

وكان التعليم مركزاً في المدن والأرياف / أما القرى والأرياف فهي محرومة من التعليم[٢].

اما المدارس الثانوية فلم يكن لها نصيب في الاهتمام وذلك لمنع العراقيين من الوصول الى التعليم العالي اذا كان عدد المدارس ضئيل جداً[٣].

ومن هنا لابد من استخراج شعر الشاعر من خلال ديوانه الضخم والمتعلق بموضوع العلم والتعليم، سواء فيما يتعلق بالمدارس، العلم المتعلم، والدعوة الى التعليم وعدم الالتفات ما يعيق مسيرة العلم، وخصوصاً في العصر الذي عاش فيهاالرصافي[٤].

إذ نجد قصائدة إما أن يكون معلماً او مرشداً الانباء متوجه حيث يقول:-

١-العلم:-

لا يبلغ المرء منتهى أربه إلا بعلم يجد في طلبه
فأو إلى ظله تعش رغداً عيشاً أميناً من سوء سوء منقلبه
واتعب له تسترح ابدا فراحة المرء من جنى تعبه
وأن للعلم في العلا فلكاً كل المعالي تدور في قطبه
ماأبعد الخير عن فتى كسل يسرح في لهوه وفي لعبه[٥]

١-المدارس ونهجها:-

وهي من أروع قصائده امتاعاً، استوفى فيها ما استوفى من تخير الالفاظ الجزلة، وحسن الاداء، والصيانة يقول:-

ابنوا المدارس واستقصوا بها الأملا
حتى نطاول في بنيانها زحلا
جودوا عليها بما درت مكاسبكم
وقابلو باحتقار كل من بخلا
لا تجعلوا العلم فيها كل غايتكم
بل علمو النشء علما ينتج العملا
ربو البنين مع التعليم تربية
يمسي بها ناطق الاخلاق مكتملا

[١] سليمان البستاني، عبرة وذكرى، ص:١٠٥
[٢] يوسف عز الدين، الشعر العراقي الحديث،ص:٣٨.
[٣] محمد اسعد اطلس، التربية والتعليم في الأسلام،ص:٤٥
[٤] محمود جواد رضا، التعليم الثانوي،ص: ١٠٦
[٥] ديوان معروف الرصافي،ص:٤٠

فجيشوا جيشَ علم من شبيبتنا
عرمرما تضرب الدنيا به المثلا
أنا لمن أمة في عهد نهضتها
بالعلم والسيف قبلاً أنشأت دولا
ثم قال:-
ثم تنبت العالم الفان مخترعاً
وتنبت الفارس المغوار والبطلا
وتنبت الحارث الفلاح مزدرعاً
وتنبث المدرة المنطق مرتجلاً
واسقوا التلاميذ فيها خمر مكرمة
عن خمرة الكريم الكريم تمسي عنده بدلا
حتى اذا ما غدا خريجها طرباً
من عزة النفس خل الشارب الثملا
ربوا البنين مع التعليم تربية
يمسي بها ناقص الاخلاق مكملاً
وكذلك نهي عن معاقبة التلاميذ ودعا الى انشاء ناشتهم مجبولاً على حب الفضيلة
إنَّا لمن أمَّة فى عهد نهضتها
بالعلم والسيف قبلاً أنشأت دولا
هذا هو العلم لا ما تأدبون له
مما تكون به عقباكم الفشلا
ماذا تقولون في نقدي مناهجكم
وقد كفيتكم التفصيل والجملا؟
وأيُّ نفع لمن يأتي مدارسكم
إن كان يخرج منها مثلما دخلا؟!
فأجمعوا الرأي فيما تعلمون به
ثم اعملوا بنشاط ينكر الملا
ثم انهجوا في بلاد العرب أجمعها
نهجا على وحدة التعليم مشتملا
حتى إذا ما انتدبنا العرب قاطبة

كنا كأنا انتدبنا واحدا رجلا[١]

١-الى ابناء المدارس:-

وهي من من ا القصائد السلسة التي تمتاز بالفصاحة والاشراق وتزدهم ف الأصله الأصيلة السليمة والمعاني الرائعة الجميلة، فقد أحسن فيها النصيحة او صدق إليها القول، ورسم سم للشباب من الطلاب النهج السديد المعبد وابداع كل الآبداع في وصف حال العلم يقول فيها:-

كفى بالعلم في الظلمات نورا يبين في الحياة لنا الأمورا
فكم وجد الذليل به اعتزازاً وكم لبِس الحزين به سرورا
تزيد به العقول هدى ورشداً وتستعلي النفوس به شعورا
إذا ما عق موطنهم أناس ولم يبنوا به للعلم دورا
فإن ثيابهم أكفان موتى وليس بيوتهم إلاّ قبورا
وحقَّ لمثلهم في العيش ضنك وأن يدعوا بدنياهم ثُبورا
أرى لب العلا أدباً وعلماً بغيرهما العلا أمست قشورا
أأبناء المدارس أن نفسي تؤمل فيكم الأمل الكبيرا
فسقياً للمدارس من رياض لنا قد أنبتت منكم زهورا
ستكتسب البلاد بكم علُواً إذا وجدت لها منكم نصيرا
فإن دجت الخطوب بجانبيها طلعتم في دجنَّتها بدورا
وأصبحتم بها للعزّ حصناً وكنتم حولها للمجد سورا
إذا أرتوت البلاد بفيضَ علم فعاجز أهلها يمسى قديرا
ويقوى من يكون بها ضعيفاً ويغنى من يعيش بها فقيرا
ولكن ليس منتفعاً بعلم فتى لم يحرز الخُلُق النضيرا
فإن عماد بيتَ المجد خلْق حكى في أنف ناشفه العبيرا
فلا تستنفعوا التعليم إلاّ إذا هذّبتم الطبع الشريرا[٢]

٣- العلمَ في حياة الشعوب:

لقد تعلق الرصافي بالعلم وأهله كتعلق البلبل بالزهر حيث كل واحد يتمم الأخر فهو يجمع بين تغريد البلبل للأزهار وبين تغريده بشعره للمفكرين المقدرين من الناس فشبههم بالأزهار وقد تطرق إلى هذا لتشبيه من غير موضع واحد فهو الذي يقول:-

وماهذه وما هذه الأوطان إلاّ حدائق
بها تنبت الأفكار من أهلها زهرا

[١] الرصافي في اوجه وحضيضه، الجزء الأول، الشيخ جلال الحنفي، ومطبعة العاني،ص:١٣٠
[٢] الرصافي في اوجه وفيضه،ج١،ص:٤٢

ويقول ايضا:-

يا قوم قد طلعت شمس الهدى وبها
للناس قد وضحت من رشدهم سكك
فشمروا يا رجال الشرق عن همم
حجابها عند اهل الغرب منتهك
ولست أطلب منكم فعل ما فعلوا
ولا أحاول منكم ترك ما تركوا
بل فاذكروا اوليكم كيف قد سلفوا
ثم اسلكوا في المعالي أية سلكوا
واستخلصوا عسجد المجد الذي بلغوا
سبكا على قالب العلم الذي سبكوا
هذا الذي جاءنا الدين الحنيف به
وحياً من الله مبعوثاً به الملك
من شاد مدرسة للعلم هد بها
سجنا لمن أفسدوا في الأرض أو فتكوا
فالعلم والجهل كل البون بينهما
هذا الفسوق وذاك الفوز والنسك
ضد ان ما استويا يوما ولا اجتمعا
وهل ترى يتساوى النور والحلك[١]

٤- منزلة المعلم في المجتمع الآنساني

تمتاز قصيدته هنا ذلك الاسترسال اهادي الرزين الذي تبعه انسجام وتناسق وتعد ما المعاني، وتعد اجمل ما قيل عن العلم:-

إذا كان جهل الناس مدعاة غيهم
فليس سوى التَّعليم للرشد سلَّم
فلو قيل: من يستنهض القوم للعلا
إذا ساء محياهم؟ لقلت: المعلم
معلم أبناء البلاد طبيبهم
يداوي سقام الجهل والجهل مسقم
وما هو إلا كوكب في سمائهم

[١] المنهل الصافي من شعر الرصافي، مختارات ادبية اخلاقية اجتماعية تأريخية، شاعر معروف الرصافي،ط٣،١٩٦٤،ص:٥

به يهتدي الساري إلى المجد منهم
فلا تبخسن حقَّ المعلم إنه
عظيم كحق الوالدين وأعظم
فإن له منك الحجا وهو جوهر
وللوالدين العظم واللحم والدم
ألا إنما تعليمنا الناس واجب
وإنَّ على الجهَّال أن يتعلموا
وما أخذ الله العهود على الورى
بأن يعملوا حتى قضى أن يعلموا[١]

٥- في المدرسة:-

نحن قوم نرى المفاخر إلا من طريق العلوم ثوبا معارا
ما قصدنا بسلّنا السيف إلا ردَّ ليل الجهل المميت نهارا
كم طوينا من قبل في طلب العلم فجاجا وكم شققنا بحارا
واقتحمنا لأجله كلَّ هول وركبنا لأجلهالأخطارا
إنما هذه المدارس روض ينبت المجد والعلا والفخارا
تتغذى بها النفوس غذاء هو ينمي العقول والأفكارا
يدخل الناشئون فيها من الناس نحاسا ويخرجون نضارا
تمنح العاجز الضعيف اقتدارا موشكا أن يغالب الأقدارا
وبها اليوم أصبحوا أحرارا كانت الناس في القديم عبيدا
فعليكم فيها بتحصيل علمٍ يرغدالعيش، يسعد الأعمارا

١-امتاز شعر الرصافي بأنه كان يوجه أكثر شعره إلى الناس بأسلوب واضح ايقاضا للمهموتنبها للأذهان.

٢-معالجة الفقر والجهل لان الظروف التي مر بها المجتمع أقتضت من الشعراء أن يكرسوا شعرهم لخدمة المجتمع

٣- رفع قيمة العلم، لانه يرفع من قيمة الانسان وينمي عقله ويجعله أكثر خبرة بالحياة.

٤- امتاز شعره بالجرأة في طرح الافكار وجعله خالصاً من دون تدخل عوامل خارجية تتواتر فيه.

٥-جعل العلم منتشراً في كافة انحاء البلاد القريبة والبعيدة، وبناء الكثير من المدارس لكي تنهض البلاد نحو التقدم والرق

[١] ديوان الرصافي، ص:٤

المصادر

١ جعفر صادق حمودي التميمي، معجم الشعراء العراقيين المتوفيين في العصر الحديث، ج١
٢- خضر العباسي، تحرير المرأة العراقية بين شاعرين الزهاوي والرصافي مجلة ليلى العدد ه شباط، ١٩٢٤
٣- الرصافي في أوجه وفيضة، جا، الشيخ جلال الحنفي.
٤-ديوان الاناشيد المدرسية، تمائم التربية والتعليم، الموجز في الشعر العربي.
٥- ديوان معروف الرصاني، ج ٢.
٦-- شوقي ضيف دراسات في الشعر العربي المعاصر القاهرة مكتبة مصر ١٩٥٩.
٧- عيد الصاحب شكر، عبقرية الرصافي، مطبعة المعارف،بغداد.
٨- الفاخوري الجامع في تأريخ الادب العربي بيروت، دار الحبل.
٩- محمد اسعد اطلس التربية والتعليم في الاسلام.
١٠-محمود جواد رضا التعليم الثانوي.
١١-معروف الرصافي الشخصية المحمدية منشورات الجمل المانيا،٢٠٠٢.
-١٢-المنهل الصافي من شعر الرصافي، مختارات ادبية اخلاقية اجتماعية تأريخية للشاعر معروف الرصافي، ط ٣، ١٩٦٤.
١٣ - يوسف عز الدين، الشعر العراقي الحديث.